ونحن نرغب اشدّ الرغبة ان تتثبت رسمياً من السدة الرسولية المقدسة براءة هذا الصالح الذكر. وفي هذا السبيل صادفنا تنشيطاً لدى من فاتحناهم برغبتنا هذه واستطامنا رايهم ثم رفعنا لدى نيافة رئيس المجمع المقدس عرضاً نلتمس به الفحص عن وجود جسم الصالح الذكر المطران ناوفيطوس وتحقيق ما جرى على يديهِ من الامور غير العادية ومن الخوارق غير الطبيعية

فنضرع الى ذوي الغيرة والشعائر الوطنية والحميَّة المسيحيَّة من اية طائفة ومن اية بلدةٍ كانوا ان يوافونا بما عندهم من المعلوميات عن الصالح السيد ناوفيطوس المذكور

ونوجه رجاء خاصاً للحلبيين ابناء وطنهِ وللابرشية التي رعاها والامكنة التي مرَّ بها ان يبحثوا في ما عندهم من التقليدات عنهُ وفي كتبهم الخطية التي يكثر وجودها عند بعض العيال لعلهم يقفون على اثرٍ ام حادث ذي مكانة يوقفنا على ما نحن طالبون الان وما غايتنا مما تقدَّم الَّا تكرمة عبد الله وتكرمة البلاد الشرقيَّة التي فيها ولد وربي ناوفيطوس الصالح. ومن جاد علينا بشيء ام اراد مكاتبتنا في هذا الموضوع فليحرر لنا الى محل نيابتنا العامة في رومة العظمى (Piazza della navicella : Roma ٥)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

كنائس الموارنة القديمة في لبنان (لاحق بما سبق)

ربما قد اذهلنا في قرى عديدة من لبنان انَّا وجدنا في جانب كنائسها كنيسةً أخرى لاصقة بها او قريبة منها بحيث تُضحي الكنيستان كبناية واحدة . مثال ذلك كنيسة مار يوحنَّا وكنيسة مار تادروس في ادَّه (جبيل). ومثلهما كنيستا شامات وتولا الخ

ومن قبلهِ كان اسقفاً على هذه الابرشية ناوانيطس السيد الذكر « الحلبي الاصل » الذي توفيَّ في رومية برائحة القداسة فقولهُ « حلبي الاصل » لا يبقي في الامر مراء (المشرق)

ولكثير من كنائس لبنان في داخلها صهاريج (١ونوافذ ضيقة مستطيلة في جدرانها بقرب مدخلها كما في تولا وادّه (البترون). وترى في صفار في دار الخواجا انطون جرجس التي كانت كنيسة قديمة صهريجًا في داخلها ومرامي في جدرانها ويستدلُّ بهذه الآثار الهندسية على انَّ الاهلين كانوا في سالف الاعصار يتحصَّنون في الكنائس فتصير لهم الكنيسة شبه قامةٍ لكثافة جدرانها ومتانة بنيانها فيشربون من مائها ويرمون القذائف من نوافذها

وفي هذه الكنائس أثر آخر يرتقي الى القرون المتوسطة وهو أنهم كانوا يجعلون في جدرانها قطعاً من العواميد ظنًّا منهم ان البنيان يزيد بها شدَّة. ونرى مثل هذه العادة جارية عند العرب في ابنيتهم القديمة لنا شواهد على ذلك في بعض انحاء قامة جبيل. وتغلَّبت عليهم هذه العادة حتى انَّهم كانوا اذا لم يجدوا عمودًا يدخلونهُ في بنائهم ينحتون دائرةً نائتة في حجر كبير يمثلون بذلك صورة رأس عمود. كما ترى في قلعة حلب وفي الباب الشرقي في دمشق الخ (٢. وقد جرى مهندسو الكنائس المارونيَّة على هذه العادة فان لكنيسة مار ضومط في تولا ولمار جرجس في عبدله ولكنيسة السيدة في سمر جبيل ولكنيسة رشكيدا مثل هذه العواميد المتداخلة في بنيانها

*

ليست قبَّة الجرس في الكنائس الشرقيَّة كما تُرى في الغرب. فانَّ الغربيين جعلوا هذه القبَّة كقسم معتبر من ابنيتهم الدينيَّة فتراها مُدمجة بالبنيان متَّصلةً بها اتصالًا غير منفصم بخلاف الشرقيين فانَّ قبَّة الجرس عندهم من العوارض ليس بينها وبين كنائسهم رباط هندسيّ ولو خلت هذه الكنائس منها لبقيت هندستها الاصلية بحسنها وهندامها. والبيع المارونية القديمة لا تشذُّ عن هذه القاعدة العموميَّة. فانَّ من يحدّق بنظرهِ اليها يرَ لوقتهِ انَّ قبَّة الجرس من الملحقات التي زيدت على هذه الكنائس بعد بنائها.

١) وفي اماكن عديدة ترى الصهاريج خارج الكنيسة عند الدهليز مثلًا. ويُحتمل انَّها تكون حُفرت ليُغتَسل بمائها قبل مباشرة الاسرار. قال الدويهي في منارة الاقداس (ص٥٧): « مذ انتشرت النصرانيَّة اخذ ابناء الايمان يبنون الكنائس ويحفرون امامها منابع الماء او يحفرون الآبار ليستحمّ بها الداخلون . . . فقد رُسم على الكهنة في بدء النافور وآخره ان يغسلوا أناملهم طلبًا للطهارة وتوقيرًا للاسرار »

٢) راجع بحثة فينيقية لبنان ص ١٥٩ و٥٤٧ الَّا ان هذا الكاتب قد اساء بنسبته ذلك الى الصليبيين

وادراك علّة ذلك سهلٌ وهو انَّ الاجراس المعدنيَّة حديثة العهد بين الموارنة لم يألفوا قرعها الّا بعد مجيء الفرنج الى بلاد الشام (١. قال العلامة الدويهيّ في تاريخ طائفته (ص ١٠٣). « وفي سنة ١١١٢ اخذ الموارنة في الجبل يدقّون النواقيس من النحاس بدل الخشب للصلاة »

ومن خواصّ لبنان كثرة كهوفه واغواره التي تُرى في اكنافه. وقد اتّخذ اهل لبنان الاوّلون هذه المغاور كما كان لهم احتلّوها فعاشوا فيها في قديم الزمن (٢ ثمّ ابتنى اللبنانيون لهم القرى وشادوا البيوت فبقيت هذه الكهوف خاليةً خاوية حتى انتشرت في هذه البلاد انوار النصرانيَّة فلجأ اليها قوم من النسّاك انقطعوا فيها الى العبادة والتألّه وعاشوا ثمت عيشةً اشبه بعيشة الملائكة وجعلوا يتمادى الأيام بغيرانهم كنائس كان يقضي فيها السكّان المجاورون لهم فرائضهم الدينيَّة. فمن ذلك الكهوف الواقعة في وادي قزحيا وفي سيدة القطّين التي تعرف اليوم باسم سيدة البزاز. وهي لا تبعد عن قرية صغار في وادٍ مُقفر فانَّ هناك ديرًا صغيرًا ذا طبقات متعدّدة ملتصقة كلُّها في الجبل وللدير سورٌ حصين فيه منافذ ضيقة كان النسّاك القدماء يرصدون منها حركات العدوّ فيطردونهُ اذا ما فاجأهم. ولعبد هذا الدير حنيّتان عاديّتان. وكان العبّاد اذا جعلوا سكناهم في هذه الاغوار يتّخذون اكبرها لمناسكهم فيجعلونها بيعًا كسيدة قنّوبين وسيدة القطّين وقزحيا الخ

ومِمّا يلحق بهذه الكنائس معبد كفر شليمان المنقور في الصخر وقد مرّ ذكرهُ. ومثلهُ معبد مار سركيس للاباء الكرمليين في بشرّاي. وكذا كنيسة مار بطرس في العاقورة فانها كلّها منحوتة في الصخر(٣ ولعلّها كانت مدفنًا للموتى في الأيام الغابرة (٤

*

وقد حان لنا الآن بعد ما ذكرناهُ اجمالًا عن كنائس لبنان القديمة من حيث هندستها العموميَّة وهيئتها الخارجة ان نبحث عن داخلها فنقف على صورته واحواله .

---

١) راجع المشرق (١ : ٥٨) ٢) راجع مقالة الاب زمّوفن في الطور الحجريّ في فينيقية (المشرق ١ : ٩٧)

٣) راجع الدويهي (ص ٢١٩) ٤) راجع بثة فينيقية (ص ٣٠١)

ولنا في كتاب منارة الاقداس للحبر المفضال والكاتب البارع البطريرك اسطفان الدويهي دليل يرشدنا الى المقصود قال (راجع المنارة ١ : ١٠٣) : « قسم الآباء القديسون الهياكل الكبيرة الى ثلاثة اقسام اي قدس الاقداس وبيت القدس والدار وفقاً لعدد الاقانيم الثلاثة كما يتبيَّن ذلك من كنائسنا القديمة مثل كنيسة القديس ماما في اهدن التي بُنيت في سنة ٧٤٩ وكنيسة القديس سابا في بشرّاي سنة ١١١٢ وكنيسة القديس دوميط في تولا من بلاد البترون وكنيسة القديس شربيل في قرية معاد من بلاد جبيل وغيرها ». فلهذه الافادات شأن خطير لاسيَّما انَّ المؤلف ذكر تاريخ بعض هذه المعابد. ويا حبَّذا لو زاد في تعداد الكنائس القديمة التي لم يكُ بعدُ استولى عليها الخراب في عهد الدويهي

ولنتقدمنَّ على تفاصيل كل قسم من اقسام الكنيسة. فالحنيَّة كما سبق القول كانت محجَّة بانواع النقوش والتصاوير التي افادنا الدويهي موضوعها (ص ١٠٤) قال : « وكان الآباء الاطهار يصوّرون الله الصباووت في حنايا الكنائس جالساً على عرش العظمة. ويمثلون وجوه الحيوانات الاربعة حول العرش مع الملائكة وقوفاً يقدّمون لهُ البخور والمصابيح المتلألئة حولهُ وذلك لكي يرفع الكاهن نظرهُ اليهِ جلَّ جلالهُ عند ما يقدّم الطلبات في سرّ القدّاس الالهيّ »

وكان للموارنة في كنائسهم القديمة تنظيمات أخرى احببنا ذكرها لتتمَّة الفائدة منها توجيه الحنيَّة الى الشرق. وزاد الدويهي في المنارة (١ : ١٠٧) : « وان يكون فوق الحنيَّة طاقة الى جهة الشرق لأنَّ الله ابو النور ». لكنَّ بعض الكنائس التي زرناها خلوٌ منها. ثمَّ أردف البطريرك المذكور : « وان يكون تحت الطاقة داخل الحنيَّة كرسيٌّ عالٍ في كنائس الاساقفة اشارةً الى عرش عظمته . . . ويُنصب الكرسيّ في مكانٍ مرتفع لاجل تعليم حقائق الايمان . . . ويُجعل درج تحت كرسيّ الاسقف وتُقام حولهُ مجالس ومساطب متناوبة لاجل جلوس الخوارنة والبراداطة (١ والقسوس . . . ومثلما اوجب الآباء ان تُبنى المذابح من الحجر للدلالة على استمرار الذبيحة ودوامها اوجبوا ان تُبنَى الكراسيّ في الحنيَّة من الحجر ايضاً (٢ »

١) جمع البردوط وهو زائر الكنائس . راجع المشرق (٣ : ٦٤٩)
٢) راجع منارة الاقداس (١ : ١٠٩ — ١١٤)

ومن الكنائس التي ترى فيها كلّ هذه الشروط مستوفاة كنيسة مار جرجس في اهدن فانّها كانت كنيسةً اسقفيةً (١ . هذا وانّ نَصْب كرسي الاسقف في الحنيّة عادةٌ تفرّدت بها البيعة السريانية دون البيعتين اللاتينية (٢ واليونانية كما اشار الى ذلك العلامة الدويهي

وفي قدس الاقداس ما عدا كراسي الاسقف والكهنة بيتُ القربان او تابوت الاسرار كما دعاهُ العلّامة الدويهي وهذا نصّ كلامهِ (ص ١٠١) : « ويحوي تابوت الاسرار اربعة امور اي جسد الربّ والميرون المقدّس وزيت العماد وماء الدنح »

وهذه افادات أُخر عن المذبح المنصوب بازاء الاسقف ننقلها عنهُ ايضاً (ص١١٣) : « آمر الآباء المتقدّمون كما يتبيّن في كنيسة مار سابا بمدينة بشرّاي وفي كنيسة السيّدة بمدينة حلب وغيرهما أنْ يُنصب فوق المذبح في الهياكل الكبيرة قبّة جميلة المنظر على اربعة اعمدة بأربع ستائر وفوق الزوايا الاربع اربعة تماثيل تشخص الملائكة او الحيوانات الاربعة التي مرّ الكلام عليها ويُجعل فوق القبّة تفّاحة وفوق التفّاحة صليب »

ولا بُدّ ان يكون المذبح من الحجر مربّع الشكل « لأنّهُ ماندة ويمتدُّ في الطول بين الجنوب والشمال اكثر من امتدادهِ في العرض بين الشرق والغرب لاجل وضع كتاب القدّاس وحُقّة البخور والنوافير وغيرها »

ويُحتَم بان يُجعل امام المذبح درجة او اكثر لكي يرتفع عن الحضيض (الدويهي ١١٤:١ و١١٤) وينبغي ألّا يكون « لاصقاً بالحائط قائماً بمزل عنهُ » (٣ على عكس ما نراهُ اليوم في كثير من الكنائس المارونيّة . ومن المحتوم ايضاً « ان يجعل المذبح مجرّفاً لاجل رفع الفضلات المقدّسة (ص ١١٤) وتُفتح كوّة من جهة الشرق لاجل وضع الذخائر ورفعها عند الاقتضاء . وقد تُنصب اخيراً مطهرة من جهة الجنوب بجانب

---

١) المنارة (٢٦٨:١)

٢) اما في الاجيال الاولى فكانت الكنيسة اللاتينية توافق السريانية في نصبها كرسي الاسقف في صدر الحنيّة (راجع مارتيني قاموس الماديّات الكنسية ص ١٣٧)

٣) وجاء في كتاب التكريسات الذي يُعنى الآن بنشرهِ الفاضل الاديب رشيد افندي الشرتوني (ص ١٩) : « يجب دائماً ان يكون المذبح الكبير قائماً بذاتهِ وحولهُ تصير الرياسات والرتب المرسومة من الآباء ولاجل ذلك امروا باقامة الحنيّة حولهُ من جهة الشرق حتّى لا يضايقهُ الحائط بتقدُّمهِ »

بعض المذابح كما ترى في كنيسة ماري جرجس كرسي اهدن ليغسل بها الكهنة والرؤساء ايديهم في خدمة الاسرار » (ص ١٤٥)

وكان امام المذبح دربزين وهو بمثابة الايقونستاس في كنائس الروم وكان لهُ مثلهُ ثلاثة ابواب بيد انهُ كان يختلف عنهُ بامور . قال الدويهي إمام المؤرخين الموارنة : « اوجب آباؤنا الاطهار ان تكون ابواب الدربزين مفتوحة وجدرانهُ غير مسطومة بل مصنوعة بثقوب على مثال شبكة حتى يتمكّن الجميع من مشاهدة الاسرار . ولكنّهم امروا الشمامسة ان يسبلوا الاستار في اوقات معلومة اجلالاً للاسرار (ص١٣٥)»

فكان اذًا الايقونستاس عند الموارنة اشبه بشبّك ليس بناء مصمتاً كما في كنائس الروم . ولعلّهُ كان « كالشعريّة » التي تفصل بين الرجال والنساء في كثير من كنائس لبنان الّا انهُ كان متقن الصُنع . وقد شهدنا في كنيسة السيدة في حدتون قطعةً من هذا الدربزين القديم . ولا علم لنا أبقي منهُ في بعض الكنائس ام لا . امّا في عهد الدويهي فكانت هذه الدرابزين شائعة كما اثبت ذلك في منارة الاقداس (ص ١٢٨)

(ستأتي البقيّة)

مطالب في بحث المطالب

للقس الفاضل جرجس منش الحلبي الماروني

يعلم الجميع انهُ لم يبلغ كتاب من كتب المتأخرين في علم العربيّة ما بلغ اليهِ هذا الكتاب « بحث المطالب » من ترامي الذكر وبُعد الشهرة وكثرة تداول الايدي لهُ واشتغال الناس بهِ على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم وإجماعهم على ايثارهِ وتفضيلهِ على ما سواه من الكتب الموضوعة في فنّي الصرف والنحو وتسابقهم الى طبعه ونشره مصدّرًا باطراء مؤلّفهِ الشهير الى غير ذلك مما حملنا على ان نفرد لهُ هذه المطالب التابعة في الكلام عليهِ مؤلّفًا ومخطوطاً ومطبوعاً ومختصرًا فنقول وبالله الاستعانة على الابانة

مطلب اوّل في الكتاب مؤلّفًا

رحمة الله ورضوانه على نفس مؤلّفهِ العالم العلّامة المدقق والامام الفهّامة المحقق السيد جرمانوس فرحات الحلبي الماروني الشهير فانهُ لما رأى « اقبال المستفيدين من